

قصيدتان

باسم فرات*

متحف السلام في هيروشيما

حينَ تَدْخُلُ عَلَيْكَ أَنْ تَحْذَرَ الارتطامَ بِالْأَنْبِي
 أَوْ أَنْ تُحَرِّكَ دَمْعَةَ طِفْلةٍ بَارْتِبَاكَ
 إِضْغَطُ عَلَى الزَّرِّ وَأَنْصَتَ لِحِكَايَاتِ صَامِتَةٍ
 حِكَايَاتِ تَوَغَّلَتِ الْقِسْوَةَ فِيهَا وَالْأَلْمُ
 خَلَفَ الزَّجَاجِ ثَمَّةً حِدَادٌ زَادَهُ الزَّمَنُ نَضَارَةً
 ثَمَّةً بَقَايَا رَمَادِ الضَّحَايَا، أَشْبَاهُ سَاعَاتٍ تُشِيرُ إِلَى الثَّامِنَةِ وَالرَّبِيعِ صَبَاحاً
 دَمَى عَلَيْهَا آثَارُ أَصَابِعٍ احْتَرَقَتْ
 قَلَانِدُ صَدِئَةٍ، مَا بَقِيَ مِنْ طِفْوَلَةٍ ابْتَلَعَتْهَا الْجَحِيمُ
 فِي الْأَقْفَاصِ الزَّجَاجِيَّةِ قَافِلَةٌ أَحْلَامٍ تَجَمَّدَتْ
 وَكَثِيرٌ مِنْ حِمَاقَاتِ وَخِيَالَاتِ مَرَضَى أَنْقَلَتْ أَكْتَافَهُمُ النِّيَاشِينَ
 عَلَى الْحَافَاتِ نَسِيَ الْوَقْتِ نَهَارَاتِهِ
 وَهُوَ يَنْصِتُ لِلْأَرَاجِيحِ الَّتِي تَكْدَسَتْ فِي الْغَيُومِ

* شاعر من العراق .

رَوَائِحُ الْمَرَارَاتِ تَخْنُقُ الْمُرُورَ عِبْرَ الطَّوَابِقِ
 هَوَاجِسُكَ سَوْفَ تَسْتَبِيحُ كُلَّ شَيْءٍ
 إِنَّهَا الْمُحَنَّةُ تَدْخُلُ أَوْكَارَهَا الْبَرِيَّةُ
 الضَّبَابُ يُجَفِّفُ السَّاحِلَ مِنَ الْبَهْجَةِ
 وَالصَّخْرَةُ الَّتِي طَلَمَا أَثْقَلَتْ كَاهِلَ سَيِّزِيفَ هَاهُنَا تَجِدُهَا وَقَدْ تَلَاشَتْ
 صَجِيجُ الْمَدِينَةِ مُخْتَزِلًا بِحَشْرَجَةٍ مُعَلَّبَةٍ عَلَى هَيْئَةِ بَضْعِ كَلِمَاتِ
 الْفِرْدَوْسِ وَهُمْ نَطْلَقُهُ لِتَتَوَيَّمِ الْفَجِيعَةَ
 وَأَبٌ لَمْ يَكُنْ لَهَا بَأً فَقَطَّ، إِنَّهَا السَّمَاءُ فَتَحَّتْ أَفْوَاهَ جَحِيمِهَا
 فَرَاغَاتُ تَتَمُّو كَالْعَدْوَى، وَالكَرَاهِيَّةُ فِطْرٌ نَبَتْ فِي كُلِّ مَكَانٍ،
 وَبِالظَّلَامِ كُلِّ شَيْءٍ اِكْتَسَى
 لَكِنَّ حَيَاةَ الرَّاهِبِ مَلْسَاءُ تَغْوِي حِكْمَتُهُ قَارِبِينَ بِالْجَنُوحِ إِلَى السَّرْمَدِيَّةِ
 لَا سَامُورَايَ هُنَا..
 وَكُلُّ شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَى النَّدَمِ.

● هيروشيما، كانون الأول ٢٠٠٧

المستقبل وهو يقفل راجعاً

«ياماتو»^(١) قبرٌ يتنفسُ الهواءَ
 فِي عَرْضِ الْبَحْرِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ
 الْمَوْتَى الَّذِينَ فِي دَاخِلِهِ
 سَطَّرُوا مَا أَمَكْنَ مِنْ ذِكْرِيَاتٍ وَنَدَمٍ
 كَانَ ضَيْقُ الْوَقْتِ
 عُصْفُورَةٌ بَنَتْ عُشَّهَا فَوْقَ الرَّوُوسِ
 غَرِبَانٌ تَتَبَعُ «يَامَاتُو»
 إِنَّهَا الْغَرِيزَةُ، يَا لَهَا مِنْ دَلِيلِ قَاسٍ
 فِي مُخِيلَةِ الْجُنُودِ، الْمَاضِي شَرِيطٌ قَفَرٌ عَالِيًا:
 رَسَائِلُ الْحَبِيبَاتِ، دُمُوعُ الْأَمَهَاتِ

وقد أَنهَكَها الانتظارُ،
 الأُمْنِيَّاتُ المكتوبةُ على وَرَقٍ أبيضٍ معقودةٌ
 على شَبَابِيكٍ مَعَابِدَ «الشنتو»^(٢).
 الجنودُ يَتَحَسَّسونَ أَشْيَاءَهُمْ،
 طعمَ الشاي الأَخْضَرَ^(٣) وقد تَكَدَّسَ في الشفاهِ،
 قَرَبَ «السَّاك»^(٤) في لِيَالِيهِمْ وهي تَتَاكَلُ
 إنهم يَشْطَبونَ أَحْلَامَهُمْ
 ياماتو ينزلقُ بعيداً إلى قَدْرِ
 يَحْرُسُ عَمَاهُ
 وَتَطْرُدُ الرِّيحُ عَنْهُ الهَوَاءَ
 في مِيناءِ «كوزة»^(٥)
 قَفَلَ المُسْتَقْبَلُ راجِعاً
 فامتلاَّتْ هذه القصيدةُ بالعويلِ.

الهوامش:

(١) ياماتو: أكبر سفينة حربية صنعتها اليابانيون، في الحرب العالمية الثانية، وحين الانتهاء منها اكتشفوا أنهم بحاجة إلى طائرات، فقاموا بإرسالها إلى جزيرة بعيدة كسفينة شحن، وكان الوقود فيها يكفي للذهاب فقط، وفي الطريق قصفتها الطائرات الأمريكية فحولتها إلى قبر لأكثر من مائتي ياباني.

(٢) الشنتو: الديانة القومية لليابانيين وتحوي مئات الآلاف من الآلهة.

(٣) الشاي الأخضر: يحتمسه اليابانيون بكثرة، ساخناً أو مثلجاً.

(٤) الساك: الخمر الشعبي في اليابان، ويكتب أحياناً "سأكه".

(٥) كوزة: المدينة التي تم فيها صناعة السفينة ياماتو، وهي قرب هيروشيما.